

مَقْدَمَةٌ

مِنَ المساجد القديمة والمهمّة في محافظة البصرة جامعُ الهدى، أو جامعُ المرحوم العلامة السيّد حامد السّويج، جامعٌ يؤمّه اليوم كثيرٌ مِنَ المصلّين، وخصوصاً أيامَ الجَمْعِ لحضور صلاة الجمعة التي تقام فيه منذ عام ٢٠٠٣م.

يقعُ المسجدُ في منطقة العباسيّة، وقد أُسُسَ بديلاً عن أحد المساجد القديمة في البصرة، وهو «مسجد الفرسى» التابع لمحلة الفرسى، التي تضمُّ جملةً من المساجد والحسينيّات القديمة، الذي كان يؤمُّ المصلّين فيه المرحوم العلامة السيّد أحمد السّويج رحمته الله، والد العلامة السيّد حامد رحمته الله، وفي فترة الستينيّات أرادت الدولة أن تفتح أحد الشوارع ممّا أثر على الجامع (جامع الفرسى)، فارتأى العلامة السيّد حامد السّويج أن يختارَ قطعة أرض في منطقة (العباسيّة)، وقد شُيّد المسجدُ عليها بتوفيقٍ مِنَ الله تعالى، وبمعوّنة المؤمنين، الذين ساهموا بقدر استطاعتهم في بناء هذا المكان الطاهر، على الرّغم من أنّهم كانوا مِنَ الفقراء والمعوّزين، وقد كانت الطافُ صاحبِ الزمان عليه السلام وعِنايتهُ فيه واضحةً جليّةً.

بدأ بناءُ المسجد عام ١٩٦٥، واستمرَّ إلى عام ١٩٦٨، وعند انتهاء بنائه سافرَ العلامةُ السيّد حامد السّويج إلى النجف الأشرف، ودخلَ على المرحوم المرجع الإمام الحكيم قدّس سرّه، وخطبهُ، قائلاً: «سَيِّدنا هذا مَسْجِدُكُمْ تَمَّ بِنَاؤُهُ في البصرة، وأنتَ وليُّ هذا الأمر، فاجعل عليه مَن تشاء وليّاً»، فردَّ عليه الإمامُ الحكيمُ قدّس سرّه، قائلاً: (أنتَ يا سيّد حامد ستكونُ وليُّ هذا المسجد، ويكونُ المسجدُ تحتَ رعايتك)، وهكذا كان،

فقد ظلَّ المسجدُ تحت الرعايةِ الأبويّة للعلامة السيّد حامد السّويج.

وأقيم للمسجد حفل افتتاح حضره نجلُ الإمام الحكيم، الشهيد السيّد محمّد باقر الحُكيم رضوان الله عليه وجمَعُ غفيرٌ مِنَ المؤمنين.

موكبُ الحكمة الحسينيّة الهاشميّة:

وفي عام التأسيس نفسه أُسُسَ موكبُ الحكمة الحسينيّة الهاشميّة برعاية السيّد رحمته الله، وقد بُنيت لهذا الموكبِ بنايةٌ خاصّةٌ تشتمل على موكبٍ وحسينيّةٍ في محافظة كربلاء المقدّسة، في منطقة العباسيّة الشرقيّة/شارع أبي الفضل العباس عليه السلام القبلي، مقابل المصرف الزراعي؛ لتكونَ محطَ رحال الزائرين ومأواهم، وكانَ للنظام السابق محاولاتٌ لهدمها، ولكنها بقيت شامخةً بعنايةِ الله وحفظه، وهي اليوم مكوّنةٌ من أربعة طوابق، وتقوم بتقديم الخدمات لزائري المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فضلاً عن مشاركة الموكبِ في الزيارة الصفريّة-الأربعينيّة- وبأعداد كبيرة، وموكبِ الحكمة الهاشميّة موكبٌ خاصٌّ باللطم فقط، وغالباً ما تكونُ الرّدات من نظم العلامة السيّد محمّد زكي السّويج رحمته الله، نجل العلامة السيّد حامد، فقد كانَ شاعراً، وله ديوان يضمُّ آلاف الأبيات من الشعر، ولكنه احترق مع مكتبته في تكساس في أمريكا، عندما حُرقت دارهُ رحمته الله من قبل النواصب ليلة العاشر من المحرم، ويذكرُ أن مكتبة السيّد محمّد زكي كانت تضمُّ ٥٠٠٠ آلاف كتابٍ، ومن ضمنها ديوانُ شعرهِ المخطوط.

أنشطة المسجد

كان مسجدُ الهدى يقتصرُ على إقامةِ الصلّاة والمحافظةِ

عليها في أوقاتها، أمّا اليوم فالأنشطةُ كثيرةٌ، فضلاً عن إقامة صلاة الجماعة يوميّاً تقامُ فيه صلاةُ الجمعة، وتحيا فيه المناسبات الدينيّة من ولادات أهل البيت عليهم السلام ووفياتهم، وتقام فيه المجالسُ الحسينيّةُ في شهري محرم وصفر، وكذلك شهر رمضان المبارك.

وكانت لسماحة المغفور له السيّد حامد أنشطتهُ الخاصّة التي يعتني بها، أو يوجّه مَن يهتمُّ بها، منها عنايتهُ بالجانبِ القرآني، وتوجيه الشباب نحو القرآن، وبعد عام ٢٠٠٣م، تطوّرت نشاطاتُ المسجد في هذا المجال وغيره، فخرّج الكثير من أساتذة القرآن الكريم وحفّاظه قرائه، وأقيمت فيه الدورات الصيفيّة بمختلف مجالاتها، في القرآن، والعقائد، والفقه، والأخلاق، وكانت على مستويين، أحدهما يخصُّ الأطفال، والآخرُ يخصُّ الشباب والكبار، وما يزال المسجد يعتني بهذه النشاطات، وخصوصاً القرآنيّة منها، وتتزايد في شهر رمضان المبارك؛ كونه ربيعَ القرآن، ويقوم بإحياء الأديعيّة اليوميّة والاحتفالات بالمناسبات الإسلاميّة.

ويصدرُ عن المسجد منشورٌ باسم ”رسالة الهدى“، أسّسها المرحوم السيّد محمّد زكي السّويج، ويتّابع موضوعاتها فضيلة الشيخ عبد الله الساكان، وتتناول عدّة موضوعات، منها جانب من خطبة الجمعة في المسجد، وموضوعات تربويّة وأخلاقيّة، وبعض المسائل الاعتقاديّة والفقهية، ويرعى المسجد حوزةً نسويّة يُدرّس فيها المنهج الحوزي المتبع في مدينة النجف الأشرف، ولها بنايةٌ خاصّةٌ بها، منفصلةٌ عن المسجد.

أمّا التولية فكانت بيدِ المرحوم السيّد حامد السّويج،

بعدها آلت إلى نجله السيّد محمّد زكي السّويج، وهي اليوم بيد السيّد مصطفى السّويج نجل المرحوم السيّد محمّد زكي السّويج، ويتناوب على إقامة الصلاة - سواء كانت جمعةً أو جماعة - كل من السيّد باقر شبر العدناني نجل المرحوم السيّد محمد شبر العدناني، والسيّد مصطفى السّويج.

ويرتبطُ بمسجد الهدى الكثير من المساجد والحسينيّات الحديثة والقديمة، التي كانت تحت رعاية سماحة السيّد حامد، فكانت ترجع إليه في جميع أمورها الشرعيّة، مثل حسينيّة مهيجران، وحسينيّة عويسيان، وحسينيّة يوسفان، وديوان آل جويبر التابع للحاج موزان، وحسينيّة البوخسين، وحسينيّة بيت المازني، والحسينيّة الحيدريّة، وغيرها من الحسينيّات التي تأخذُ توجيهاتها الشرعيّة من العلامة السيّد حامد السّويج.

المراحل العمرانيّة

مرَّ المسجدُ بعدّة مراحلٍ عمرانيّة، فكانت بداية التأسيس عام ١٩٦٥، واكتمل عام ١٩٦٨، وقد تعرّض المسجد إلى أضرارٍ في الحرب العراقيّة - الإيرانيّة جراء وقوع إحدى القذائف فيه، فأغلق المسجد مدّةً من الزمن، وفي تلك الفترة كان السيّد يصلي في مسجد الجَمَد في منطقة السّراجي، وبدأ الترميم فيه عام ١٩٩٧م، وأعيد فتحه أمام المصلّين في هذا العام، وتحديدًا في ٢٧ رجب.

كان الجامعُ يَحصُ بالمصلّين في تلك السنوات حتى أن بعضَ المخازن في المسجد فُتحت للصلاة، وتوسّعت ثم شراء قطعة أرض مجاورة لاستيعاب أعداد المصلّين المتزايدة وسط إمكانيّاتٍ محدودةٍ في ذلك الوقت، ووُسّع

المسجد بتبرّعات بسيطة تُجمَع من المصلّين أيّام الجُمع، وشارك وأسهم في بنائه بعض ميسوري الحال، ولكن أغلب من شارك في البناء هم الفقراء، وبعد وفاة السيّد حامد السّويج عام ٢٠٠٧ بدأت حملة إعمار واسعة للمسجد، فقد هُدم المسجد وأضيفت له ثلاثة أمتار من عمق الدّار التي أوقفها السيّد للمسجد، وُبنيت القبّة، ورفعت المنارة بارتفاع ٢٥ متراً تقريباً، ووسّع الطابق الأرضي للمسجد، حتى وصل استيعابه إلى «١١٠» مصل.

بُني المسجد على طراز عمرانيّ راق، إذ بُنيت قبّته على أيدي خيرة البنّائين، وغُلّفت بالكاشي الكربلائيّ من قبل المعمار الشهير السيّد جليل النقّاش، صاحب معمل الكاشي الكربلائيّ في أصفهان، الذي تربطه علاقة خاصّة مع العلامة السيّد حامد السّويج، حتى إنّ السيّد توفّي في بيته في مدينة أصفهان أثناء عودته من زيارة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام).

ولم تكن في المسجد مكتبة خاصّة به، بل كانت للسيّد حامد مكتبته الخاصّة في بيته، وتحتوي أمّهات الكتب، وبعض الطباعات الحجرية القديمة، وبعض الكتب التي خُطّت بيده الشريفة، ويبد والده السيّد أحمد السّويج، وهناك مكتبة للمرحوم العلامة السيّد محمّد زكي السّويج تضم أكثر من ٢٠٠٠ آلاف كتاب تقريباً تمّ تبويبها بعناية، وستكون مع مكتبة السيّد حامد السّويج وفقاً للسيّدين الجليلين عند اكتمال البناءية المقابلة للجامع وسيهيأ جناح خاصّ بها؛ ليكونا مكتبة عامّة لخدمة أهالي البصرة الكرام.

شرفُ الخدمة

كانَ الناسُ يتسابقون على الخدمة في هذا المسجد المبارك

تقرباً لله تعالى، ومنها الأذان فيه، ومن مؤدّي المسجد في أيّام السّتينيّات والسبعينيّات، المرحوم الحاج إبراهيم العيد، والمرحوم الملا صبيح، والحاج محمود العيد، نجل الحاج إبراهيم العيد، والأخ علي حسين ثامر، المعروف بـ(علي منّاوي)، كونه يسكن منطقة المنّاوي، والأستاذ الفاضل المقرئ الشيخ علي فيّاض، والأخ كريم "أبو علي"، والأخ عماد، والملا ياسين "أبو منصور"، الذي كان محلّ عناية سماحة السيّد حامد منذ صغره وهم من خدّمة المسجد أيضاً، وكثير من القراء أمثالهم.

وخدّمة هذا المسجد يفوقون حدّ الإحصاء، وكلّهم من المتطوّعين، ويتفاوتون في مستوياتهم العلميّة والمادّية، فمنهم التاجر، ومنهم الكاسب، ومنهم الطالب، ومنهم الدكتور، وكان سماحة السيّد حامد يردّد دائماً: «كلّنا خدّم، وأنا كبيرُ الخدّم»، هذا ما نقله السيّد حسن السّويج ابن شقيقة السيّد حامد السّويج، وغالباً ما كان سماحته يُشرف بنفسه على طهارة فراش المسجد وأثاثه.

مواقف لا تنسى

تعرّض مسجد الهدى للكثير من المضايقات، حاله حال بقية المساجد الفاعلة في العراق، وتعرّض سماحة السيّد حامد السّويج للكثير من المضايقات، والمراقبات الأمنيّة المستمرّة، إذ كان كثيراً ما يُطلّب منه أن يُشارك أو يحضر الاحتفالات الدينيّة التي تقيمها السلطة، وكان سماحته يرفض الحضور في مثل هذه احتفالات، وأدّت الحالة التعسّفيّة من المضايقات إلى عدم إمكان أداء وظائفه الدينيّة والعباديّة بشكل مُريح، حتّى بلغ الأمر إلى عدم إمكانه زيارة جدّه الحسين (عليه السلام) إلا خفيةً وهو في كربلاء ويقرب المولى أبي عبد الله (عليه السلام)، وغير

ذلك من الأمور التي يطول شرحها.

وقد قدّم المسجد في ذلك الوقت ثلّة من الشهداء الشباب، لا لشيء إلا لارتياحهم المسجد؛ من أجل الصّلاة فيه، ومن أجل توجّههم الدينيّ المحظور لدى السّلطة آنذاك.

خاتمة

حفظ الله مساجدنا التي أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه، وزادها علوّاً وشرفاً ورفعةً، ورحم الله الماضين من علمائنا، الذين كان لهم الدور الفاعل في تأسيس هذه البيوت الإلهيّة، التي ترتقي بالفرد والمجتمع إلى درجات الكمال الروحيّ، وحفظ الله الباقيين منهم.



السيّد حامد السّويج (رحمته)



العتبة العباسيّة المقدّسة
قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة
مركز تراث البصرة
البصرة - برهة
هاتف: ٠٧٨٠٠٨١٦٥٩٧ - ٠٧٨٠٠٨١٦٥٩٧
البريد الإلكتروني: basrah@alkafeel.net



الجامع الرشيد

